الرسالة

(رومية ١٣:١١–١٤؛ ١٤: ١–٤)

يا إخوةُ إنَّ خلاصَنا الآنَ أقربُ ممَّا كان حين آمنَّا* قد تناهى الليلُ واقتربَ النهارُ فلنَدَعْ عنَّا أعمالَ الظُلمةِ ونلبسْ أسلِحَةَ النور* لنَسلُكَنَّ سلوكاً لائقاً كما في النهار لا بالقُصوفِ والسُكرِ ولا بالمضاجعِ والعَهَر ولا بالخِصامِ والحَسد* بل البسوا الربَّ يسوعَ المسيح ولا تهتمُّوا بأجسادِكم لقَضاءِ شَهواتِها* مَن كانَ ضعيفاً في الإيمانِ فاتَّخِذوهُ بغيرِ مباحثةٍ في الآراء* مِنَ الناسِ مَن يعتقِدُ أنَّ لهُ أن يأكُلَ كُلَّ شيءٍ. أمَّا الضَّعيفُ فيأكُلُ بُقولاً* فلا يَزدَرِ الذي يأكُلُ من لا يأكُلُ ولا يدِن الذي لا يأكُلُ مَن يأكُلُ فإنَّ اللهَ قدِ اتَّخذهُ* مَن أنتَ يا مَن تدينُ عبداً أجنبيًّا. إنَّهُ لِمولاهُ يثبُتُ أو يَسقُطُ. لكنَّهُ سيُثبَّتُ لأنَّ اللهَ قادِرٌ على أن يُثبِّتَهُ.

أحد الغفران

يُقرأ على مسامعنا اليوم مقطع إنجيليّ (مت ٦: ١٤–٢١)، هو جزء من عظة الربّ على الجبل (مت ٥–٧). تحوي هذه العظة عدّة تعاليم قدّمها الربّ لتلاميذه وهو جالس معهم على جبل (٥: ١–٢)، وهم بدورهم قدّموها للجموع (٧: ٢٨). يظهر الربّ في هذا المشهد أنّه معطي الشريعة الجديدة، مقابل موسى الّذي أعطى الشريعة قديمًا على جبل حوريب.

تسبق هذا المقطع عدّة وصايا مرتبطة بعلاقة الإنسان مع المسيئين إليه الّذين يعتبرهم أشرارًا: «سمعتم أنّه قيل عينٌ بعين وسنٌّ بسنٍّ، وأمّا أنا فأقول لكم لاَ تقاوموا الشرّ، بل من لطمك على خدّك الأيمن فحوّل له الآخر أيضًا... سمعتم أنّه قيل تحبّ قريبك وتبغض عدوّك، وأمّا أنا فأقول لكم أحبّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات. فإنّه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين...» (مت ٥: ٣٨–٤٧). يتجلّى لنا من هذا الكلام أنّ العمل بالوصايا شرطٌ أساسيّ ليكون الإنسان ابنًا لله. هذا ما فعله الربّ يسوع على الصليب حين صلّى لأجل صالبيه: «فقال يسوع يا ابتاه اغفر لهم لأنّهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو ٢٣: ٣٤). إذًا، إن كنّا نريد أن نكون أبناءً لله، كالربّ يسوع، علينا أن نتصرّف مثله.

العدد ٧ / ٢٠١٨

الأحد ١٨ شباط

أحد مرفع الجبن (الغفران)

تذكار أبينا الجليل في القديسين لاون بابا رومية

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر الرابع

ينتقل الربّ، بعد هذه الوصايا، ليعلّم عن الصدقة والصلاة والصوم. ينبّه الإنسان من المجد الباطل، حتّى لا يكون عمله مبرِّرًا لينال مجدًا من الناس. الهدف من أعمال الإنسان إظهار مجد الله، لا المجد الذاتيّ، كونه يقوم بما يطلبه منه سيّده: «ومَن منكم له عبدٌ يحرث أو يرعى يقول له إذا دخل من الحقل تقدّم سريعًا واتّكئ؟ بل ألا يقول له أعدد ما أتعشّى به وتمنطق واخدمني حتّى آكل وأشرب، وبعد ذلك تأكل وتشرب أنت؟ فهل لذلك العبد فضلٌ لأنّه فعل ما أُمر به؟ لا أظنّ. كذلك أنتم أيضًا متى فعلتم كلَّ ما أُمرتم به فقولوا إنّنا عبيد بطّالون، لأنّنا

إنّما عملنا ما كان يجب علينا» (لو ١٧: ٧–١٠).

إنطلاقًا من هذه الوصايا، يستطيع الإنسان أن يدعو الله أبًا. نحن ندعوه أبًا عندما نتلو الصلاة التي علّمنا إيّاها الربّ يسوع: «أبانا الذي في السموات...» (٦: ٩–١٣). هذه الصلاة، أي ما نطلبه من الله أبينا، مشروطة بما نقوم به نحن تجاه الآخرين: «واترك لنا ما علينا كما نترك نحن لمن لنا عليه» (٦: ١٢)، وهذا شرط أساسيّ ليغفر الله خطايانا: «فإنّه إن غفرتم للناس زلّاتهم يغفر لكم أيضًا أبوكم السماويّ، وإن لم تغفروا للناس زلّاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضًا زلّاتكم» (٦: ١٤–١٥). يعني هذا الأمر أنّ على الإنسان المبادرة بالمغفرة دون أن ينتظر استغفار الآخر منه، لأنّ هذا ما يحدث غالبًا: «فليطلب هو الغفران منّي أوّلاً... هو أخطأ إليّ!». لقد علّمنا الربّ العارف دواخل الإنسان أنّه ليس أحد منّا بلا خطيئة: «من منكم بلا خطيئة فليرمها أوّلاً بحجر» (يو ٨: ٧). أمّا إلى أيّ مدى علينا أن نغفر، فقد علّمنا أن لا حدود للمغفرة: «حينئذٍ تقدّم إليه بطرس وقال يا ربّ كم مرّة يخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرّات؟ قال له يسوع لا أقول لك إلى سبع مرّاتٍ بل إلى سبعين مرّة سبع مرّاتٍ» (مت ١٨: ٢١).

لذلك، على الإنسان ألاّ يغفل أبدًا عن المسامحة والمغفرة، إذ إنّ وصيّة الربّ واضحة كالشمس. ربّنا هو مثالنا الأعلى في ذلك، لأنّه مات من أجلنا نحن الخطأة، فكيف يمكننا ألاّ نتمثّل به إن كنّا نعتبر أنفسنا أتباعه، ونعتدّ بمسيحيّتنا؟: «لأنّ المسيح إذ كنّا بعدُ ضعفاء مات في الوقت المعيّن لأجل الفجّار. فإنّه بالجهد يموت أحدٌ لأجل بارٍّ. ربّما لأجل الصالح يجسر أحدٌ أيضًا أن يموت، ولكنّ الله بيّن محبّته لنا، لأنّه ونحن بعدُ خطأة مات المسيح لأجلنا» (رو ٥: ٦–٨). إنطلاقًا من هذا، أعطانا الربّ يسوع مَثَلَ الملك الذي أراد أن يحاسب عبيده. العبد الذي سامحه مَلِكُه بما يدين له به، وهو دين عظيم لا يمكنه سداده أبدًا، لم يسامح رفيقه الذي كان مدينًا له بجزءٍ صغير جدًّا من المال. كانت العاقبة على العبد الأوّل وخيمة: «فدعاه حينئذٍ سيّده وقال له، أيّها العبد الشرّير، كلّ ذلك الدين تركته لك لأنّك طلبتَ إليّ، أفما كان ينبغي أنّك أنت أيضًا ترحم العبد رفيقك كما رحمتُك أنا؟ وغضب سيّده وسلّمه إلى المعذّبين حتّى يوفي كلّ ما كان له عليه. فهكذا أبي السماويّ يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كلّ واحدٍ لأخيه زلّاته» (مت ١٨: ٣٢–٣٥).

غالبًا ما ننظر إلى الأمور من ناحية أنّنا نحن الذين علينا أن نغفر. لكنّ الله يدعونا لنعترف أيضًا بخطايانا ونطلب المغفرة ممّن أخطأنا إليهم: «إعترفوا بعضكم لبعضٍ بالزلّات وصلّوا بعضكم لأجل بعضٍ لكي تُشفوا» (يع ٥: ١٦). هذه الطريقة تجعلنا لا نقع في الإدانة: «ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك، وأمّا الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها؟ أم كيف تقول لأخيك دعني أُخرج القذى من عينك وها الخشبة في عينك؟ يا مرائي، أخرِج أوّلاً الخشبة من عينك، وحينئذٍ تبصر جيّدًا أن تُخرج القذى من عين أخيك» (مت ٧: ٣–٦).

نفهم سبب وَضع الكنيسة المقدّسة هذا المقطع الإنجيليّ قبل

الإنجيل

(متى ٦: ١٤–٢١)

قال الربُّ إن غفَرتُم للناس زلّاتِهم يغفِرْ لكم أبوكم السماوي أيضاً* وإن لم تغفِروا للناسِ زلّاتِهم فأبوكم أيضاً لا يغفِرُ لكم زلّاتِكم* ومتى صُمتم فلا تكونوا مُعبّسين كالمرائين. فإنَّهم يُنكّرون وجوهَهم ليظهروا للناس صائمين. الحقَّ أقولُ لكم إنَّهم قد أخذوا أجْرَهم* أمَّا أنتَ فإذا صُمتَ فادهَنْ رأسَكَ واغسِلْ وجْهَك لئلَّا تظهرَ للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخِفْية. وأبوك الذي يرى في الخِفْيةِ يُجازيكَ علانيةً* لا تكْنِزوا لكم كُنوزاً على الأرض حيث يُفسِدُ السوسُ والآكِلَةُ ويَنْقُبُ السارقون ويسرِقون* لكن اكنِزوا لكم كنوزاً في السماءِ حيث لا يُفسِدُ سوسٌ ولا آكِلةٌ ولا يَنْقُبُ السارقون ويسرقون* لأنَّهُ حيث تكون كُنوزُكم هناك تكونُ قلوبُكم.

تأمل

«لنسلكنَّ سُلوكاً لائقاً كما في النهار... لا بالخصام والحسد».

كل الكائنات المخلوقة محدودة، وما هو محدود لا يمكن أن يكون كاملاً. لكن الكائنات المخلوقة أُعطيت إمكانية الجهاد باتجاه الكمال. غير أن بعض الكائنات المخلوقة ساقطة. فقد عجزت أولًا بعضُ الملائكة عن المحافظة على كرامتها، وبعدها سقط أيضاً جدّانا آدمُ وحواء بسبب حسد تلك الملائكة الساقطة. وقد تجذَّرت هذه السمةُ نفسها: الحسد، فينا نحن أيضاً. فالحسد لا يتوقف عند حدّ، وهو يصرخ معارضاته في وجه الله في كل حين وفي كل مكان.

كيف يعمل الحسد؟ الحسد روحٌ من الجحيم يقاتل الله والصلاحَ بلا انقطاع. الله محبة والحسد لا يمكنه أن يحتمل رؤيتنا نفعل الخير لقريبنا. حين شفى الربُّ – الذي هو محبة – المرأة العجوز التي البدء برحلة الصوم الأربعينيّ المقدّس. إن لم تكن لدينا القدرة على المغفرة فإنّ صومنا وصلاتنا يكونان هباءً. لذلك، نستغفر بعضنا بعضًا، بعد صلاة الغروب التي تُقام مساء اليوم، محاولين العودة إلى أحضان أبينا السماويّ، مثلما فعل الإبن الضالّ، فيلبسنا الله الحلّة الأولى معيدًا إيّانا إلى مقامنا الأوّل، ونفرح معه بالمائدة السماويّة يوم الفصح المقدّس.

صلاة النوم الكبرى

تكثّف كنيستنا الأرثوذكسيّة المقدّسة صلواتها في زمن الصوم الأربعينيّ المقدّس. الصوم هو مرحلةُ تهيئةٍ للنفس والجسد من أجل بلوغ الفصح المجيد، عيد الأعياد وموسم المواسم. تَلازَم الصوم والصلاة منذ نشأة المسيحيّة، الأمر الذي حافظت عليه الكنيسة منذ نشأتها. الرب يسوع كان دائماً يدعو إلى الصلاة والصوم معاً: «وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم» (متى ١٧: ٢١). كما ان الإنسان البار هو الذي يصلّي ويصوم ويفعل الصدقة.

من أكثر الصلوات المعروفة بين المؤمنين صلاة النوم الكبرى، وهي معروفة بصلاة «يا رب القوّات»، وتقام في كل الكنائس مساء كل يوم من أيام بحر الأسبوع ما عدا يوم الجمعة حيث تقام صلاة النوم الصغرى مع مديح والدة الإله. هذه الصلاة هي صلاة شكرية كان يقيمها المسيحيون الأوائل، بشكل أقصر ما لبث ان تطور مع الوقت وأخذ الشكل الحالي المعروف، وصارت جزءاً من دورة الصلوات اليومية في الكنيسة.

هي صلاة شكر لله على نعمته التي سمحت لنا أن نجوز مسافة النهار بلا عيب ولا خطيئة، ودعاء لأن نجوز الليل المقبل مصانين من تجارب الشرير.

يذكر القديس سمعان التسالونيكي أنّه كان هناك ترتيب واحد لصلاة النوم وهو صلاة النوم الكبرى المذكور في تيبيكون دير القديس ساباً، إلاّ أنّه ظهر في القرن الثالث عشر اختصارٌ لهذا الترتيب سمّي »صلاة النوم الصغرى «أصبح يمارسه المؤمنون والرهبان يومياً. أمّا الترتيب الكبير فأصبح يقام في أيام الأسبوع من الصوم الأربعيني المقدس.

إذا قرأنا مؤلَّف رحلات الراهبة إيثيريا (أواخر القرن الرابع) الذي يُعتبر مرجعاً مهمًّا في الليتورجيا نستنتج أنّ هذه الخدمة كانت محصورة في بلاد البنطس وآسيا وأنطاكيا إذ لم تذكرها في وصفها نظام العائلات الرهبانية في مصر وما بين النهرين، لكن يمكننا القول إنّ هناك خدمة مشابهة لصلاة النوم في الصلوات الست قبل النوم الموجودة في نظام الرهبان المصريين والتي تتحدَّث عنها قوانين القديس باخوميوس أربع مرات.

تتألّف صلاة النوم الكبرى من ثلاثة أقسام. هذا التقسيم واضحٌ من خلال ختم الكاهن كلًّا من الأقسام بعبارة «بصلوات آبائنا القدّيسين...»، وافتتاحه القسم التالي كلّ مرّة بالعبارة الثلاثيّة «هلمّوا لنسجد ونركع...».

يبدأ القسم الأوّل كما كلّ خدمة كنسيّة باستدعاء الروح القدس، المعزّي، روح الحقّ، فينطلق القارئ قائلاً: «هلمّوا لنسجد ونركع...». هذا القسم هو عبارةٌ عن

شكر نوجّهه لله من أجل كلّ العطايا التي أنعم علينا بها خلال النهار. نجد في هذا القسم أيضًا قراءات من سفر المزامير تدلّ على الحياة التي نعيشها في هذا العالم وحاجتنا إلى رحمة الرّبّ. نكرّر في هذا القسم عبارة «لأنّ الله معنا» التي بها يؤكّد المؤمنون أنّهم لا يخافون الشيطان المعاند كونهم متّكلين على الرّبّ وهو معهم في كلّ حين. تأتي بعد ذلك الطروباريّات التي تُتلى كلَّ يوم من أيّام الصوم الكبير، والتي تؤكّدُ على شكرنا للرّبّ بعد عبور النهار بسلام: «إذ قد عبرت النهار، أشكرك يا ربّ...».

يفتتح الكاهن القسم الثاني من صلاة النوم الكبرى بصلاةٍ للقدّيس باسيليوس الكبير. فبعد أن أنقذَنا الله من كلّ المكائد التي واجهناها خلال نهارنا، ها نحن متأهّبون لطلب الرحمة الإلهيّة مقدّمين توبةً للّه. نقرأ هنا المزمور الخمسين الذي هو بمثابة نشيدٍ للتوبة. نتلو في هذا القسم باقةً من الصلوات والمزامير يطلب المؤمن من خلالها الغفران على غرار داود النبيّ والملك ومنسّى الملك. أمّا ختام هذا القسم فيكون بطروباريّة نطلب فيها، مرارًا وتكرارًا، الرحمة الإلهيّة مباشرةً من الله كما عبر والدة الإله بشفاعاتها ودالّتها لدى الله.

القسم الثالث من هذه الصلاة مخصّص لتقديم المجد للّه وإعلان مجده. نطلب فيه إلى الله أن يرافقنا لنجوز اللّيل بلا عيبٍ مثلما رافقَنا في نهارنا. نعلن، في هذا القسم، من خلال الصلاة الأقرب إلى قلوب المؤمنين، أنّ الله هو ربّ الجنود وهو معيننا وراحمنا: «يا ربّ القوّات كن معنا، فإنّه ليس لنا في الأحزان معينٌ سواك...». يتلو المؤمن، خلال هذا الصوم، قبل الخلود إلى النوم، صلاة القدّيس أفرام السريانيّ: «أيّها الرب وسيّد حياتي، أعتقني من روح البطالة والفضول وحبّ الرئاسة والكلام البطّال...». تشكّل هذه الصلاة ذروة التواضع والإنسحاق وطلب البنوّة الإلهيّة.

تغتذي الروح بالصوم ويتقوّى الجسد بالصلاة مترقّبًا المائدة الفصحيّة، ومعاينًا المسيح مصلوبًا من أجلنا. يشارك المؤمن في هذه الصلوات ليتشدّد في صراعه ضدّ مكائد إبليس، ولينال المعونة الإلهيّة، هذه المعونة التي تساعده لبلوغ يوم القيامة المجيد، حاملاً مصباحه ومالئًا إيّاه بزيت النقاوة والبهجة على مثال العذارى العاقلات، فيدخل إلى فرح ربّه ويجلس إلى المائدة الفصحيّة ويشارك في المجد الأبديّ.

الصوم

الإمتناع عن الأكل فقط هو حطٌّ لكرامة الصوم. المطلوب في الصوم ليس الإمتناع بواسطة الفم بل بواسطة العيون والآذان والأيدي وكل الجسم. نصوم بالأيدي بالطهارة والإبتعاد عن السرقة، والأرجل بالإبتعاد عن المشاهد المحرّمة، والعيون بالإمتناع عن النظر إلى أيّ شيء يغري...

القديس باسيليوس الكبير

للإطلاع على أخبار الأبرشية:
www.facebook.com/metbei

كانت منحنية منذ ثمانية عشر عاماً، للحال أظهر الشيطان وجهه وبدأ يتمرّد على الفور لأن الحسد لا يمكنه أن يحتمل رؤية فعل الخير مع أحد (راجع لو ١٣: ١١–١٧). الحسد لا يتوقف. إن روح الجحيم يحسد كل البشر على كل شيء.

... هكذا ترون الآن أنه علينا أن نداوي أنفسنا. يجب ألا نسمح يوماً للحسد بالدخول إلى قلوبنا لأن الحسد يدمّر السلام الداخلي وهدوءَ الروح. لنحسب أننا في سلام، ثم يأتي صديقٌ لنا ويخبرنا عن شخص قد اقترف ظلماً بحقّنا فيما مضى. هذا الشخص هو الآن ناجح جداً وقد حقّق الكثير. إن لم نكن قد سامَحنا هذا الشخص فإن روح الحسد يُطلّ برأسه مباشرة. هذا ما يحدث. يجب أن نكون دوماً يقظين في الصلاة وألا نقبل أبداً ما يوحيه لنا روحُ الحسد.

الشيخ تداوس الصربي